

ولا كفن الموتى ولا في ديونهم ولا نحو سد البشق أو رم مسجد^(١)

(١) ولا تصرفها في تكفين الموتى أو حفر القبور أو المشاريع العامة؛ لأن الله خصصها بثمانية أصناف، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠]، فلا تُصرف في المشاريع الخيرية من تكفين الموتى أو تغسيل الموتى أو بناء المساجد أو المدارس، هذه لا تمول من الزكاة وإنما تمول من التبرعات الخيرية والأوقاف، وأما الزكاة فإنها تخصص لمن خصصهم الله في ذلك.

ولا تسدد بها ديون الموتى، لأن الزكاة للأحياء، ولكن تسدد ديون الميت من غير الزكاة، فيستحب أنك تسدد الدين عن الميت المعسر الذي ليس له تركة، ولكن من غير الزكاة بل من التبرع.

«ولا نحو سد البشق أو رم مسجد» ولا تصرفها في المشروع العام، يعني إصلاح السدود أو إصلاح الجسور والطرق التي يمشي عليها الناس، أو ترميم المساجد، هذه مشاريع خيرية لا شك فيها

ويحرم حتماً أن يقي ماله بها ويدفع ذمّاً أو لتحصيل محمد^(١)
وذلك نقل البر سراً بفاضل عن النفس مع قوت العيال المؤكد^(٢)

أجر، ولكن تمول من غير الزكاة؛ لأن الله حصر مصارف الزكاة في ثمانية أشياء لا يجوز تعديها والإنفاق في غيرها من المشاريع الخيرية.

(١) يحرم ولا يجزي المزكي أن يدفعها عن حق واجب عليه؛ لأن هذا وقاية لماله، ولا يدفعها من أجل المدح، أو من أجل منع الذم.

(٢) لما فرغ من الصدقة الواجبة وهي الزكاة نبه على الصدقة المستحبة، فهي مستحبة ومتأكدة زيادة على الزكاة، لكن تكون بالفاضل عن قوتك وقوت عيالك ومن تعول، ولا تضيق على نفسك وتضيق على أولادك، بل إذا فضل شيء تتصدق به. وتكون الصدقة سراً؛ لأن هذا أقرب إلى الإخلاص، وإذا دعا الأمر إلى إعلان الصدقة من أجل أن يقتدي بك غيرك ومن أجل أن تعلم الناس عن هؤلاء المحتاجين، فإعلان الصدقة لمصلحة

يُسن وفي الحاجات أو شهر صومهم وللجار والقرى وأن يؤذ أكد^(١)

راجحة طيب، قال جل وعلا: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، والإبداء معناه الإعلان، إذا دعت الحاجة إلى إعلانها من أجل أن يعرف الناس المحتاج ويتصدقوا عليه، فهذا مقصد طيب، ومن أجل أن يقتدوا بك، والني ﷺ حث على الصدقة في يوم من الأيام وجاء رجل معه مال كثير عجزت يده عن حمله، فوضعه بين يدي النبي ﷺ، فسر النبي ﷺ بذلك، ثم تتابع الناس يتصدقون، فقال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»^(١) فهذا دليل على أن إعلان الصدقة إذا كان لمصلحة راجحة أنه مستحب وإلا فالأصل الإسرار؛ لأن هذا أدعى إلى الإخلاص.

(١) هذا بيان للحالات التي تتأكد فيها صدقة التطوع:

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر... حديث رقم (١٠١٧).

ويأثم في إضرار نفس وعيلة ومطل غريم في التقاضي ملد^(١)
وإن تك ذا صبر وحسن توكل وترك سؤال بالجميع أن تشا جد^(٢)

أولاً: وقت الحاجة، هذا تتأكد فيه الصدقة، وأجرها أعظم.
الثاني: الوقت الفاضل، وهو شهر الصوم، وشهر رمضان؛
لأنه شهر البر والإحسان والمواساة، والصدقة فيه تضاعف على
الصدقة في غيره.

الثالث: الجار إذا كان محتاجاً فالصدقة عليه أفضل من
الصدقة على البعيد.

الرابع: القربى المحتاجين أولى من غيرهم في صدقة الفرض،
وصدقة التطوع.

(١) يحرم على الإنسان أنه يضيق على نفسه، ويضيق على
أولاده ويتصدق؛ لأنه ترك واجباً وذهب إلى مستحب، وكذلك إذا
كان عليه دين، فإن تسديده للدين أولى من التصدق.

(٢) هذا في الإيثار، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

ولا تكن تأثم يذل جميعه ويكره تضيق لغير المعود^(١)

كَانَ يَهُمُّ خَصَاصَةً ﴿[الحشر: ٩]﴾، والإيثار له شروط:

أولاً: أن يكون عنده صبر على الحاجة والجوع، فيؤثر على نفسه، أما إذا لم يكن عنده صبر فلا يحمل نفسه على عدم الصبر.
الشرط الثاني: أن يكون عنده توكل على الله، بأنه يخلف عليه خيراً مما دفع، أما إن كان توكله على الله ضعيفاً، فلا يؤثر على نفسه ليقع في الإثم.

الشرط الثالث: أن لا يسأل الناس، ويتصدق بالذي عنده، إذا كان سيسأل الناس فكفه عن السؤال أولى من التصدق، فلا يجوز للإنسان أنه يضيق على نفسه - كما سبق - وعلى من يعول، وما حمل أبا بكر بأن يتصدق بماله كله، وعمر بنصف ماله؛ إلا لصبرهم وتوكلهم على الله سبحانه وتعالى، فإذا بلغ الإنسان هذه الرتبة فإنه يؤثر على نفسه، أما إذا كان ما عنده هذه الأمور فإنه يبدأ بنفسه.

(١) هذا تابع لما سبق، يقول: الإيثار ما له حد لو تتصدق

وجوز سؤال المرء ما جاز أخذه وعنه احظرن عن ذي العشا والغدا قد^(١)

بمالك كله، مثل ما فعل أبو بكر الصديق لما عنده من قوة الإيمان، وقوة التوكل على الله، ولهذا لما قال له النبي ﷺ: «ما تركت لعيالك؟» قال: تركت لهم الله.^(١) هذا من عظم التوكل على الله عز وجل، فإذا وصلت إلى هذه الحالة فلا بأس.

(١) سؤال الناس يجوز عند الحاجة وبقدر الحاجة، لقوله ﷺ: «المسألة لا تحل إلا لثلاثة: - وذكر منهم - من أصابته فاقة»^(٢)، فيجوز له أن يسأل حتى يصيب سداداً من عيش، ثم يمسك فإذا احتاج الإنسان إلى السؤال يسأل بقدر الضرورة والحاجة، وعن الإمام أحمد: لا يجوز السؤال لمن عنده قوت يومه غداً أو عشاءً.

(١) قصة إنفاق أبي بكر وعمر رواها الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، حديث رقم (٣١٧٥)، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، حديث رقم (١٦٧٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، حديث رقم (١٠٤٤).

وما جا بلا استشراف نفس وطلبه يُسن ولم يوجب قبول بأوكد^(١)
ويكره باستشراف نفس وجائز على الكفر بذل البر في نص أحمد^(٢)

(١) يقول إذا أعطيت شيئاً وأنت لم تسأله، ولم تتطلع إليه، ولكن بودرت به فخذ، لما جاء في الحديث: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف فخذ، فإن شئت تموله، وإن شئت تصدق به»^(١) فما جاءك من غير سؤال من غير تشوف له فخذ، سواء كان من بيت المال أو من غير بيت المال، فإن شئت أنك تموله وتنفع به، وإن شئت تصدق به ولا ترد الخير.

(٢) أما إذا كان باستشراف نفس فإنه يُكره أن تقبله من أجل لزوم التعفف وعدم الذلة للناس، والنظر إلى ما في أيديهم، وصدقة التطوع يجوز أن تعطى للكافر المحتاج، لأن هذا من الإحسان، والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس.. حديث رقم (١٤٧٣).

وخذ في بيان الصوم غير مقصر عبادة سر ضد طبع معود^(١)

[البقرة: ١٩٥]. وربما يكون هذا من باب تأليفه للإسلام وإظهار كرم الإسلام وأخلاق المسلمين.

(١) لما فرغ من الصدقات الواجبة والمستحبة انتقل إلى الركن الرابع وهو الصيام.

والصيام: هو الإمساك عن المفطرات، وهو يخالف هوى النفس؛ لأن النفس تريد الشهوات، تريد الأكل والشرب، فأنت تحميها من ذلك طاعة لله سبحانه وتعالى. فالصوم فيه ترويض للنفس وتعويد للنفس على مفارقة المحبوبات والمستلذات. وكون الإنسان دائماً مع مشتهياته وملذاته مما يضره ويضعف نفسه، فهو يبعدها عن مشتهياتها، ويربّيها على تركها من أجل أن يقوى بدنياً ونفسياً. فالصيام فيه فائدة عظيمة أنه تربية للنفوس وفضام للنفوس وتعويد للنفوس على التحمل والجلد على طاعة الله سبحانه وتعالى. وقوله: «عبادة سر» أي أن الصوم سر بين العبد وبين ربه،

وصبر لفقد الإلف من حالة الصبي وفطم عن المحبوب والمتعود^(١)
فتق فيه بالوعد القديم من الذي له الصوم يجزي غير مخلف موعد^(٢)

لا يطلع عليه إلا الله، الذي يصلي تراه وهو يصلي، والذي يتصدق تراه وهو يتصدق، أما الصوم هذا سر بين العبد وبين ربه، ترى هذا الإنسان ولا تعرف أنه صائم، ترى الناس ولا تدري من الصائم من المفطر، كلهم سواء. فهو سر بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يراه الناس. وهذا من فضائل الصيام أن الإخلاص فيه أكثر؛ لأنه لا يطلع عليه الناس.

(١) الصوم فيه حبس للنفس عن مشتبهاتها، مثل ما يُحبس الصبي عن الرضاع، الصبي يعتاد الرضاع فإذا قارب الفطام فإنه يُمنع من الرضاع من أجل أن يتعود ثم يترك الرضاع ويصبر عنه، كذلك المسلم يفطم نفسه عن الشهوات في الصيام كما يفطم الصبي عن الرضاع.

(٢) الله جل وعلا يقول: « الصوم لي وأنا أجزي به إنه ترك

شهواته وطعامه وشرابه من أجلي، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»^(١) هذه فضائل للصيام على غيره من الأعمال؛ فلذلك اختصه الله تعالى وقال: «الصوم لي وأنا أجزي به». قيل: معناه أن الصوم لا يتسلط عليه الغرماء، بل إن الله يدخره للصائم ويجزيه به، بخلاف بقية الأعمال فإن الغرماء - المظلومين - يأخذون مظالمهم من أعماله يوم القيامة، فيقتصون منه إلا الصوم فإن الله يمنعهم؛ لأن الصوم لله ولا سبيل لأحد إلى الأخذ منه.

والقول الثاني: أن معنى قوله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به» أن الأعمال يضاعف أجرها بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلا الصوم فإنه لا يُقدر مضاعفة جزائه؛ لأن الصوم من الصبر، والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّمَا يُؤَيِّدُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فهذا من فضائل الصيام أن أجره لا يتقدر بمضاعفة، بخلاف بقية الأعمال فإنها تضاعف إلى عشر إلى

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «يريدون أن يسئلوا كلام الله» حديث رقم (٧٤٩٢).

وحافظ على شهر الصيام فإنه الخامس أركان لدين محمد^(١)

سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة محددة، ولكن الصوم لا يُحدد مضاعفته؛ لأنه من الصبر.

(١) «حافظ على شهر الصيام» وهو شهر رمضان، قال

تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ

وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

[البقرة: ١٨٥]، وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، يعني فرض. فالصيام فرض وركن من

أركان الإسلام، وهو صيام شهر رمضان المبارك.

هو الركن الخامس من أركان الإسلام، كما قال ﷺ:

«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم

الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت»^(١).

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (٨).

تُغلق أبواب الجحيم إذا أتى وتفتح أبواب الجنان لسعد^(١)
 ويُرفع عن أهل القبور عذابهم ويُصَفد فيه كل شيطان معتد^(٢)
 ويُيسر فيه الرزق للخلق كلهم ويُسهل فيه فعل كل تعبد^(٣)

(١) من فضائل شهر رمضان أنه تُفتح فيه أبواب الجنان وذلك للتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة التي في هذا الشهر وتُغلق أبواب النيران؛ لأنه تقل فيه الأعمال السيئة التي توجب النار.

(٢) ومن فضائل شهر رمضان أن الله يخفف عن أهل القبور عذابهم، ومن فضائله العظيمة أن الشيطان يصفد فيه عن أهل الطاعة فلا يوسوس لهم ولا يشغلهم عن طاعة الله، وهذا ظاهر في الناس أنهم ينشطون في شهر رمضان على تلاوة القرآن وعلى الصدقة وعلى الصلاة، تجد عندهم نشاطاً في رمضان أكثر من غيره؛ لأن الشيطان قد صُفد عنهم ولم يتسلط عليهم، هذا شيء ظاهر على المسلمين في شهر رمضان.

(٣) من فضائل رمضان أنه يسهل فيه التعبد، تجد الطاعات والعبادات سهلة على الناس، بخلاف غير شهر رمضان، فإن

تزخرف جنات النعيم وحورها لأهل الرضى فيه وأهل التهجد^(١)
وقد خصه الله العظيم بليلة على ألف شهر فضلت فلترصده^(٢)

الكسل يغلب على الناس، أما في شهر رمضان فإنه تُسهل فيه العبادات.

وكذلك من فضائل رمضان أن الله يجود على عباده بالرزق والخير، فهو شهر بسط الرزق من الله سبحانه وتعالى على عباده، ولا سيما إذا أنفقوا على المحتاجين وفطروا الصائمين، فإن الله يجود عليهم، فهو شهر الجود.

(١) كذلك ورد أن الله في شهر رمضان يُزين كل يوم جنته في شهر رمضان لأجل الصيام والعبادة.

(٢) من فضائل شهر رمضان أن الله جعل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، يعني العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر، يعني في ثلاث وثمانين سنة وزيادة أشهر. قال تعالى:

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٣]، وهي في رمضان؛

فأرغم بأنف القاطع الشهر غفلة وأعظم بأجر المخلص المتعبد^(١)

لأن الله قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]
وقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، يعني أنزلناه في
ليلة القدر في رمضان، ومعناه أنه ابتداء الله الوحي على النبي ﷺ.
في هذه الليلة وهي في شهر رمضان، هذا من فضائل شهر
رمضان، أن الله أنزل فيه القرآن، يعني ابتداء فيها نزول القرآن،
وثانياً: أن فيه هذه الليلة العظيمة التي تتخلل في لياليه ولا يعلمها
إلا الله سبحانه وتعالى، ولكنها موجودة قطعاً في شهر رمضان. أما
إنها تعين في ليلة معينة هذا لا يعرفه الناس من أجل أن يجتهدوا
في كل الشهر؛ لأجل أن يحصلوا على فضل الشهر وفضل ليلة
القدر.

(١) من حُرِّم فضائل هذا الشهر العظيم ودخل عليه هذا
الشهر وانتهى ولم يحصل على شيء رغم أنفه بالتراب، كما قال
جبريل للنبي ﷺ: «رغم أنف من أدركه شهر رمضان فلم يُغفر

فقم ليله واقطع نهارك صائماً وصن صومك عن كل موه ومفسد^(١)

له، فمات فدخل النار، قل: آمين، قلت آمين^(١). وأما من منّ الله عليه فاستفاد من هذا الشهر فإنه يكون من السعداء.

(١) شهر رمضان ليله قيام ونهاره صيام، هذا من فضائله أنه معمور ليله ونهاره، نهاره كله صيام. وأنت في عبادة طول النهار لأنك صائم، وكذلك من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة، فأنت كل ليلتك قائم، إذا قمت مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ لك قيام ليلة. فكأنك قمت الليل كله، هذا فضل عظيم وثواب جزيل في هذا الشهر الجليل.

«وصن صومك عن كل موه» يعني مضجع ومفسد ومبطل؛ لأن المخالفات على قسمين :

منها ما ينقص ثواب الصيام أو يبطل ثوابه.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٤٠/٢)، حديث رقم (٤٠٩)، وأبو يعلى في مسنده (٣٢٨/١٠) حديث رقم (٥٩٢٢).

وترك مقال الزور في الناس واجب ولكنه من صائم ذو تأكيد^(١)
فإن شتم اشرع قوله أنا صائم لتذكير نفس أو لوعظ لمعتد^(٢)

ومنها ما يُبطل الصيام مثل الأكل والشرب متعمداً والجماع والحجامة وغير ذلك، هذه تبطل الصيام، وأما المعاصي فإنها تنقص ثواب الصيام أو تبطل ثوابه.

(١) وترك الزور: وهي جميع المعاصي متأكد على الإنسان تركها في كل شهوره وفي كل أيامه، ولكنه من صائم متأكد أكثر، متأكد أنه يتجنب الشتم والسب وقول الزور وفعل المعاصي؛ لأنها تؤثر على صيامه، ومع كونها محرمة مؤثمة فهي تؤثر على صيامه. فالصائم أكد من غيره في اجتناب المنهيات.

(٢) الإنسان يصون لسانه عن السب والشتم، وإن سابه أحد أو شاتمه فينبغي له أن لا يرد عليه ولا يقتص، بل يقول: إني صائم إني صائم. كما جاء في الحديث « فإن سابه أحد أو قاتله

ومن خلف من جوع ومن عطش ومن أذى شبق يُفطر ويقضي ولا يلدي^(١)

فليقل إني صائم^(١) والحكمة في ذلك والله أعلم من أجل أن يُبين للشائم أنه لولا الصيام لرد عليه، ولكن الصيام منعه من الرد. لتذكير نفسك أنك صائم فلا ترد عليه، أو لأجل تذكير الشائم بأن يحترمك ويحترم الصيام، وفي سائر الأعمال لا يجوز أنك تقول أنا كذا.. أنا صليت.. أنا تصدقت.. ما تذكر أعمالك، ولكن في هذه الحالة تذكر عملك وتقول إني صائم، تُعلن لأجل أن المصلحة في الإعلان أرجح من السكوت.

(١) متى يجوز الإفطار في شهر رمضان؟ لمن خاف الهلاك إذا لم يشرب، أو جاع جوعاً شديداً إذا لم يأكل فإنه يموت، أو عطش عطشاً شديداً إذا لم يشرب يموت يجوز له أن يقطع الصيام دفعاً للضرر والخطر عن نفسه.

إذا خاف من خطر الجوع أنه يموت أو خاف خطر العطش أنه يموت يُفطر ويأكل ويشرب بقدر ما يُبقي عليه حياته؛ لأن هذه

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم، حديث رقم (١٩٠٤).

وإن تبغ أسنى الصوم نفلاً تصومه فيوماً ويوماً صوم داود فاقصد^(١)

ضرورة، والله جل وعلا يقول: ﴿إِلَّا مَا أَضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾
[الأنعام: ١١٩].

كذلك لو أصيب الإنسان بالشبق، وهو قوة الشهوة. بأن يريد الجماع دائماً وتشقق أنشائه لو لم يجامع، هذا مرض. ولا يندفع عنه إلا بالجماع، يُباح له في رمضان لأنه مثل المريض ويقضي هذا اليوم؛ لأن هذا من باب الضرر، وليس عليه كفارة لأنه متضرر. هذا معنى «ولا يدي» يعني لا يُكفر لأنه مضطر.

(١) لما فرغ الناظم رحمه الله من بيان أحكام الصوم الواجب وهو صوم رمضان انتقل إلى الصوم المستحب؛ لأن الله جل وعلا شرع بعد كل عبادة واجبة نفلاً من جنسها، حيث شرع بعد فريضة الصلاة صلوات نوافل، وشرع بعد فريضة الزكاة صدقات نوافل، وشرع بعد الصيام صيام نفل، وشرع بعد حج الفريضة حج نفل، ونحن الآن في نفل الصيام، والحكمة في ذلك والله أعلم

أن هذه النوافل فيها زيادة في عمل المسلم من ناحية وفيها جبر لما يحصل في الفرائض من النقص من ناحية أخرى فإن الإنسان عرضة للنقص والخلل في أداء الواجبات، فمن حكمة الله جل وعلا أن شرع هذه النوافل لتجبر بها الفرائض يوم القيامة كما جاء في الحديث^(١)، وأعلى صوم النفل صوم داود عليه الصلاة والسلام، كما أخبر بذلك النبي ﷺ وهو أنه يصوم يوماً ويفطر يوماً، هذا أعلى درجات صوم التطوع^(٢)، أما أن يصوم الإنسان الدهر كله ولا يفطر أبداً، فهذا لا يجوز، ولما بلغ النبي ﷺ أن رجلاً يقول: أنا أصوم ولا أفطر قال عليه الصلاة والسلام: «أما أنا فأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٣) وكان ﷺ يصوم ويكثر من الصوم، ويفطر ويكثر من الإفطار فهو لا يُداوم على الإفطار ولا يداوم على الصوم، وهكذا شريعته ﷺ شريعة

(١) رواه الترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة،

حديث رقم (٤١٣)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث رقم (٤٦٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر.. حديث رقم (١١٥٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٥٠٦٣).

شرح منظومة الآداب الشرعية

ومن كل شهر صم ثلاثة يرضه ^(١) ويوم خميس ثم الاثنين فاعمل

الاعتدال شريعة الوسطية، فلا يصوم الإنسان كل حياته،
يفطر أبداً، ولا يفطر كل حياته ولا يصوم بل يعتدل، وأعلى أن
الصيام وأكمل صيام التطوع صيام داود عليه الصلاة والسلام
يصوم نصف الدهر يصوم يوماً ويفطر يوماً.

(١) كذلك من أنواع صوم التطوع صوم ثلاثة أيام من
شهر كما أوصى النبي ﷺ أبو هريرة بذلك، بأن يصوم ثلاثة
من كل شهر^(١)؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها فإذا صام ثلاثة
والحسنة بعشرة أمثالها فالיום الواحد عن عشرة أيام، فالجموع
كامل ثلاثة أيام في العمل، وشهر في الشراب من الله
وتعالى، هذا فيه تيسر على الأمة بحيث أنها تحصل على
الكامل ولا يحصل عليها مشقة وتعب، هذا من كل شهر
من كل أسبوع يستحب أن يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب صلاة الفريضة في الحضر، حديث رقم

ومن كل شهر صم ثلاثة يفضّه ويوم خميس ثم الاثنين قاعمد^(١)

الاعتدال شريعة الوسطية، فلا يصوم الإنسان كل حياته، ولا يفطر أبداً، ولا يفطر كل حياته ولا يصوم بل يعتدل، وأعلى أنواع الصيام وأكمل صيام التطوع صيام داود عليه الصلاة والسلام، يصوم نصف الدهر يصوم يوماً ويفطر يوماً.

(١) كذلك من أنواع صوم التطوع صوم ثلاثة أيام من كل شهر كما أوصى النبي ﷺ أبا هريرة بذلك، بأن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر^(١)؛ لأن الحسنه بعشر أمثالها فإذا صام ثلاثة أيام والحسنه بعشرة أمثالها فاليوم الواحد عن عشرة أيام، فالجموع شهر كامل ثلاثة أيام في العمل، وشهر في الثواب من الله سبحانه وتعالى، هذا فيه تيسير على الأمة بحيث أنها تحصل على الأجر الكامل ولا يحصل عليها مشقة وتعب، هذا من كل شهر، أيضاً من كل أسبوع يُستحب أن يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس؛

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب صلاة الضحى في الحضر، حديث رقم (١١٧٨).

ومتبع شهر الصوم صوماً بستة جزت سنة من جامع ومبدد^(١)

لأنهما يومان تُعرض فيهما الأعمال على الله جل وعلا، فيُعرض عمل العبد وهو صائم كما قال النبي ﷺ^(١).

(١) كذلك من أنواع صيام التطوع صوم الست من شوال، بعد رمضان، قال ﷺ: «من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر»^(٢) أي فكأنما صام السنة؛ لأن رمضان عن عشرة أشهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، وستة أيام عن شهرين، هذه شهور السنة فيحصل على ثواب صوم السنة كلها بصوم رمضان وستة أيام من شوال.

سواءً صمتها متتابعة أو صمتها متفرقة في الشهر؛ لأن الرسول

(١) رواه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس، حديث رقم

(٤٧٤)، والنسائي في كتاب الصيام، باب صوم النبي... حديث رقم (٢٣٥٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال... حديث رقم

(١١٦٤).

وعامين يُجزى صوم يوم معرف وعن يوم عاشوراء بالعام أسند^(١)

ﷺ لم يشرع المتابعة ولم يشرع التفريق؛ بل أطلق صيام ستة أيام من شوال يشمل من يصومها متتابعة، ويشمل من يصومها متفرقة في الشهر، توسعة على الناس.

(١) كذلك مما يُستحب صيامه صوم يوم عرفة لغير الحاج، وهو يُكفر سنتين كما قال النبي ﷺ، السنة الماضية والسنة المستقبلية^(١)، هذا فضل عظيم؛ لأن يوم عرفة يوم عظيم فإذا صامه المسلم في غير حالة الحج حصل على هذا الثواب، يكتب الله له تكفير سنتين يعني من الصغائر، والكبائر لا تُكفر إلا بالتوبة، هذا صوم يوم عرفة. وصوم يوم عاشوراء يُكفر السنة الماضية^(٢)، يُكفر سنة واحدة، وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، فصومه يُكفر سنة واحدة، أما الحاج فالمستحب له أن يكون مفطراً يوم عرفة ولا

(١) رواه مسلم في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر... حديث رقم

(١١٦٢).

(٢) انظر التخريج السابق.

وفي عرفات يُشرع الفطر قوة على دعوات عند أفضل مشهد
ويُشرع صوم العشر والشهر كاملاً إذا كنت تبغي فالمحرم فأسرد^(١)

يصوم لأجل أن يتقوى على العبادة وعلى الدعاء في هذا اليوم العظيم، والنبي ﷺ كان مفطراً في يوم عرفة، ولما تمارى الناس هل الرسول صائم أو مفطر جاءت أم الفضل رضي الله عنها بقدرح من اللبن فناولته النبي ﷺ وهو على الراحلة، فأخذه وشرب والناس ينظرون إليه، ليبين لهم ﷺ أنه مفطر حتى يقتدوا به^(١)، فالحاج الأفضل له أن يكون مفطراً من أجل التقوى على العبادة في يوم عرفة.

(١) كذلك مما يُستحب صيامه عشر ذي الحجة، لقوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله من هذه العشر» قيل: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا من خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(٢)

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب صوم يوم عرفة، حديث رقم (١٦٥٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب فضل العمل في أيام تشریق، حديث رقم (٩٦٩).

فإن تقتصر صم عشره ثم إن تهن فتاسعه مع عاشر أو لذا قد^(١)

والعمل الصالح يدخل فيه الصوم؛ لأن الصوم عمل صالح، وأيضاً ورد أن النبي ﷺ صام عشر ذي الحجة، مع دخوله في عموم العمل الصالح، وكذلك من الصوم المستحب صوم شهر المحرم كاملاً، قال ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم؛ أو شهر الله الذي تدعونه المحرم»^(١) فيُستحب صيام شر محرم كله أو غالبه.

(١) من صيام النفل المستحب صوم يوم عاشوراء، فإذا لم تصم شهر المحرم فصم يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر الذي نجا الله فيه موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه، فصامه موسى عليه السلام شكراً لله، وصامه محمد ﷺ؛ لأن الله قال له: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَى﴾ [الأنعام: ٩٠]، ولما رأى اليهود يصومون هذا اليوم سألهم قالوا: إنه يوم نجا الله فيه موسى وقومه،

(١) رواه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، حديث رقم (١١٦٣).

فصامه موسى فنحن نصومه. قال ﷺ: «نحن أحق بموسى منكم» فصامه ﷺ وأمر بصومه^(١)، فصوم يوم عاشوراء سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو يُكفر الله به سنة كاملة لمن حسنت نيته، إلا أنه لا ينبغي الاقتصار على يوم عاشوراء فقط بل يُصام يوم قبله وهو اليوم التاسع مخالفة لليهود لقوله ﷺ: «خالفوا اليهود صوموا يوماً قبله» وفي رواية «أو يوماً بعده»^(٢)، وقال ﷺ: «لئن بقيت إلى العام القادم لأصومن التاسع والعاشر»^(٣) فيُستحب أن لا يُفرد عاشوراء، بل يُصام يوماً قبله فمن فاتته اليوم الذي قبله يصوم اليوم الذي بعده حتى يُخالف اليهود.

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، حديث رقم (٢٠٠٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث ابن عباس، رقم (٢١٥٥).

(٣) قوله: التاسع والعاشر هو من قول ابن عباس رواه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء عاشوراء أي يوم هو، حديث رقم (٧٥٥)، والمشهور هو قول النبي ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع». وهو في مسلم في كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، حديث رقم (١١٦٢).

ويكره صوم الدهر والسبت وحله وإفراد ترجيب وجمعة مفرد^(١)

(١) لما فرغ من بيان الصوم المستحب بين الصوم المكروه، فيُكره أولاً إفراد شهر رجب بالصوم، أو أيام من رجب، وما يظن المخرفون من الظنون في شهر رجب ويلفقون فيه من العبادات لا أصل له، شهر رجب إنما هو شهر محرم، وليس له ميزة في العبادة على غيره من الشهور، فكل ما يُروى في فضل العمل في شهر رجب خاصة فكله غير صحيح، ولا يجوز العمل به، وهو من وضع الخرافيين: العمرة الرجبية، الذبيحة في رجب هذه في الجاهلية كانوا يذبحون في رجب ويسمونها الفرع أو العتيرة، ولا يجوز تخصيص رجب لا بذبح ولا بصوم ولا بعمرة ولا بشيء، الرسول ﷺ ما اعتمر في شهر رجب، وإنما كل عمراته عليه الصلاة والسلام في أشهر الحج، ما اعتمر في شهر رجب.

ثانياً يكره صوم الدهر، وهو أن لا يُفطر أبداً، بل يسرد الصيام كل حياته، هذا مكروه، لقوله ﷺ: «لا صام من صام الدهر»

ويحسن إتمام التطوع مطلقاً وإفساده جواز فإن تقض جود^(١)

وفي رواية «لا صام ولا أفطر»^(١) وفي حديث: «أما أنا فأصوم وأفطر» رداً على الذي قال: «أنا أصوم ولا أفطر».

ثالثاً: يُكره صوم يوم السبت مفرداً؛ لأنه ورد في حديث النهي عن إفراده ولكن الحديث لم يثبت، والصحيح أنه لا بأس بإفراد السبت؛ لأنه لم يثبت حديث في النهي عن إفراده.

رابعاً: يكره إفراد يوم الجمعة بالصوم، فقد ثبت الحديث في النهي عن إفراده^(٢)؛ لأن يوم الجمعة يوم عيد للمسلمين، فينبغي للإنسان أن يكون مفطراً لأجل أن ينشط على صلاة الجمعة والدعاء والتبكير، فثبت الح

ديث في النهي عن إفراد يوم الجمعة، أما إذا كان يصوم أياماً ودخل يوم الجمعة فيها تبعاً فلا بأس.

(١) هذه مسألة وهي: هل يلزم إتمام صوم التطوع أو يجوز

(١) رواه البخاري في كتاب الصيام، باب استحباب ثلاثة أيام.. حديث رقم (١١٦٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة.. حديث رقم (١٩٨٤).

نقضه والإفطار؟ الصحيح أنه يجوز للإنسان أن يفطر إذا صام تطوعاً؛ لأن النبي ﷺ لما دخل بيته أخبروه أنهم عندهم طعام أهدي إليهم، فقال: «أرينه فإني أصبحت صائماً»^(١) فأكل منه ﷺ، فدل على أنه يجوز نقص صوم التطوع، وأن الصائم تطوعاً بالخيار إن شاء أكمل صومه وإن شاء نقضه، ولكن إتمامه أفضل، وكذلك قال ﷺ: «الصائم تطوعاً أمير نفسه»^(٢) يعني بالخيار. وقوله: «فإن تقض جود» كأنه يرى استحباب قضاء صوم النفل إذا أفطر ولم يتمه.

(١) رواه مسلم في كتاب الصيام، باب جواز صوم النافلة بنية من النهار.. حديث رقم (١١٥٤).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في إفطار الصائم المتطوع، حديث رقم (٧٣٢).

الحج والجهاد وما يتعلق بهما ودفع الصائل عن الأهل والمال^(١)

وبادر بفرض العمر قبل انقضائه بجح إلى البيت العتيق المؤكد^(٢)

(١) هذه ثلاثة أبواب: الباب الأول: في الحج، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، لما فرغ من الركن الرابع شرع في بيان الركن الخامس وهو الحج، والثاني في الجهاد في سبيل الله؛ لأنه متأكد، وبعض العلماء يرى أنه ركن من أركان الإسلام، الثالث دفع الصائل الذي يعتدي عليك ليقتلك أو ليأخذ مالك، أو ليفجر بأهلك، فإنك تدفعه ولو بالقتل، إذا لم يندفع إلا بالقتل وقتله هدر؛ لأنه صائل.

(٢) بادر بأداء فريضة الحج متى ما تيسر لك فلا تؤخرها، ومن هنا يقول الفقهاء: «يجب الحج على الفور» يعني المبادرة بأدائه عند توفر إمكانيته؛ لأنك لا تدري ما يعرض لك في المستقبل، فأد هذا الركن ما دمت متمكناً من أدائه، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، قال ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً

رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً^(١) فيجب المبادرة بالحج مع الاستطاعة وهي وجود الزاد الذي يبلغه ذهاباً وإياباً ويكفي لأسرته التي يعولها إلى أن يأتي، والراحلة وهي المركوب في كل وقت بحسبه، سواءً على الدابة أو على السيارة أو على الطائرة أو على الباخرة، فإذا توفر الزاد وتوفر المركوب، وجب على المسلم أن يحج، ويبادر بذلك، والحج مرة واحدة، جعله الله مرة واحدة في العمر تخفيفاً على الأمة لأنه يحتاج إلى سفر وإلى مؤونة وقد يكون فيه أخطار في الطريق أو في المناسك، فلذلك خفف الله عن المسلمين وجعله مرة واحدة وما زاد فهو تطوع، بدليل قوله ﷺ: «الحج مرة واحدة، فما زاد فهو تطوع»^(٢).

فقوله: «وبادر بفرض العمر» فرض العمر: يعني أنه يجب مرة واحدة في العمر «قبل انقضائه» لئلا يأتيك الموت وأنت لم تؤد الحج مع القدرة عليه، والإنسان ما دام الله مكنه، يبادر بأداء

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس، حديث رقم (٨).

(٢) رواه أبو داود في كتاب المناسك، باب فرض الحج، حديث رقم (١٧٢١).

الحج، أما إذا أدى الفريضة فما زاد عليها فهو تطوع ويُنظر فيه إلى الأصلح، إذا كان هناك الإنفاق في سبيل الله أو على الفقراء أنفع وأحوج فهو أفضل من الحج، فإذا كان هناك مجال ملح في الإنفاق فهو أفضل من الحج، كأن يكون هناك حاجة وعسرة، أو يوجد محتاج شديد الحاجة فإن صرف المال في ذلك، أفضل من صرفه في حج النفل، كذلك في أيامنا هذه الزحمة الشديدة والخطر كون الإنسان يتأخر عن الحج في أيام الزحمة الشديدة وكثرة الوفود، والحاج الآن ما يؤدي الحج على الوجه المطلوب، بسبب الزحمة والمشقة، فأفضل من هذا أنك تبقى في بلدك وتتعبد الله وتتصدق، فهذا أفضل من الحج مع الزحمة الشديدة والخطر، وأيضاً لا تتمكن أن تؤدي الحج على المطلوب بل تكثر فيه من الترخصات.

وقوله: «حج إلى البيت العتيق المؤكد» قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا

بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]، فسماء البيت العتيق، قيل: لأنه اعتقه الله من الجبابرة، ولم يتمكن أحد من هدمه وإزالته منذ بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مع كثرة الجبابرة والأعداء للإسلام فالله اعتقه منهم، وقصة الفيل معروفة سجلها الله في القرآن، ولا

أحد يريد هذا البيت إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فالله أعتقه من الجبابة والطغاة وخلصه منهم، رغم عداوتهم للإسلام والمسلمين، ولو يقدرّون على إزالته لأزالوه، وخصوصاً أن المسلمين يجتمعون حوله من أقطار الأرض، تظهر قوتهم على وجه الأرض، والكفار لا يريدون هذا، فهم لو تمكنوا من إزالة هذا البيت لأزالوه، ولكن الله حفظه ومنعه كما حفظ القرآن حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُظُونَهُ﴾ [الحجر: ٩]، والعجيب أن القرآن يسبب الكفار ويلعنهم ويمقتهم ومع هذا لا يستطيعون أن يغيروا منه ولو في حرف واحد؛ لأن الله حفظه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُظُونَهُ﴾، فهذا من عجيب آيات الله سبحانه وتعالى أن حفظ للمسلمين القرآن وحفظ لهم هذا البيت الذي يتوجهون إليه في كل صلاة، ويجتمعون حوله في كل حج وعمرة، واليوم لما جاءت وسائل الإعلام والبيت الفضائي صاروا يشاهدون البيت ويشاهدون

وما الحج إلا القصد قصد مخصص عبادة إذعان ومحض تعبد^(١)

الحجاج وتجمع المسلمين حوله، ولا يستطيعون أنهم يمنعون المسلمين، أو يحدثوا في الحرم ما يمنعهم والحمد لله، هذا من نعمة الله عز وجل، ومن نعمته أنه يُقيض لهذا الحرم من يقوم عليه ويخدمه في كل زمان من الحكام المسلمين، يُهيأ له من الملوك والسلاطين من يتشرف بخدمته، ويتشرف بتسهيل أمور المسلمين حوله، هذا من آيات الله سبحانه وتعالى، وما تقوم به حكومتنا حفظها الله من خدمة البيت والمسجد الحرام والحج شيء لا ينكر.

(١) «وما الحج إلا القصد» الحج في اللغة: قصد الشيء، أما

في الشرع فهو: قصد الكعبة المشرفة لأداء المناسك.

«عبادة إذعان» لله عز وجل وانقياد لله، وتعبد لله وليس من

أجل الكعبة، الكعبة لا تُعبد وإنما المعبود هو الله، والكعبة مكان

للعباداة جعلها الله مكاناً للعبادة يُعبد الله حولها، يُطاف بها

ويُصلى حولها، فالحج عبادة لله، فهي مكان للعبادة خصصه الله

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فهي مكان عبادة، ولا تُعبد هي؛ لأنها بناء وأحجار، وإنما جعلها الله مشعراً يُعبد الله عنده، وبقعة يُعبد الله فيها، والله يختص بفضله من يشاء، يُفضل بعض البقاع على بعض، وبعض الأشخاص على بعض، وبعض الأزمان على بعض، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]، فاختار من البقاع مكة، كما اختار من الأشهر شهر رمضان، واختار من البشر الأنبياء، واختار سبحانه وتعالى من الأعمال أفضلها فهو يختار سبحانه وتعالى، فهو الذي اختار هذا البيت وبوآه لإبراهيم فبناه، وقال له: أذن في الناس بالحج، فليست الكعبة هي التي تُعبد، وإنما الذي يُعبد هو الله جل وعلا حول الكعبة، فهي مكان عبادة ومنسك جعله الله للمسلمين يتوجهون إليه في صلاتهم في أي مكان، ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٥٠]، فيحجون إليه كل سنة، ويعتَمرون إليه في أي

تحن القلوب المستجاب لها الدعا إلى الصادق البر الخليل المجد^(١)

وقت، ويتوجهون إليه في كل صلاة أينما كانوا تعبدوا لله سبحانه وتعالى، فيغفر الله ذنوبهم، ويكفر سيئاتهم، ويضاعف لهم الثواب والأجر، في الحج مصالح للمسلمين، وفيه إنفاق في سبيل الله، وفيه ترويض للنفس على القوة والجهاد والجلد، فيه مصالح عظيمة، وفيه تعارف للمسلمين، وتألف المسلمين وفيه منافع، كما قال جل وعلا: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيكَ مِنْ كُلِّ مَجْعٍ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧]، منافع لا تُحصى لا يعلمها إلا الله، من الناس من يحصل على منافع كثيرة، ومنهم من يحصل على منافع دون ذلك، ومنهم من لا يحصل على شيء^{٥٠}.

(١) فحج البيت إجابة لدعوة الخليل عليه الصلاة والسلام

لما أذن بأمر الله عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، فمن حج أو اعتمر فإنه مجيب لنداء الخليل عليه

أتى بخصوص في الدعاء مبعضاً ولو عم طار الشوق بالناس عن يد^(١)
نحن إلى أعلام مكة دائماً قلوب إلى الداعي تروح وتغتدي^(٢)

الصلاة والسلام، إلى أن تقوم الساعة، لبيك اللهم لبيك، إجابة
لدعوتك على لسان خليلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(١) من رحمة الله أنه أوجب الحج على المستطيع فقال: ﴿مَنْ
أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولو عمم الأمر لحج الناس كلهم
ولا يتأخرون، ولكن الله خصص المستطيع، أما لو قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] ولم يأت قوله: ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ﴾ لحج
الناس كلهم ولا يتأخر أحد.

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ [البقرة: ١٢٥]،
مثابة: قالوا: إنه كل ما ذهبوا يرجعون إليه، ولا تشبع قلوبهم منه
أبدًا، فهو بمنزلة المغناطيس للقلوب، وقيل مثابة: يعني أنه مكان
للثواب والأجور. والظاهر والله اعلم أنه يشمل المعنيين، أنه محل
ثواب وأنه مرجع للناس، ولا أحد يشبع منه أبدًا، كل ما خرج

رجالاً وركبناً على كل ضامر يلبون داعي الحق من كل مورد^(١)
 يطير بهم شوقاً إلى ذلك الحمى لتحصيل وعد النفع في خير مشهد^(٢)

يود أنه يرجع إليه. «تحن إلى أعلام مكة» أعلام مكة: يعني المشاعر، «قلوب إلى الداعي» إلى الداعي وهو الخليل عليه السلام بأمر الله ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

(١) «رجالاً وركبناً» الرجال: هم المشاة، والركبان: الراكبون على المركوبات بكل زمان بحسبه، فتجدهم يأتون إلى هذا البيت، يمشون وراكبين من كل فج من فجاج الأرض، عميق يعني بعيد.

(٢) يحنون إلى ذلك الحمى وهو الحرم، الذي جعله الله عز وجل تحن القلوب إليه، يرجون النفع في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ يعني يحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ في الحج، منافع كثيرة لا تُحصى.

على كلهم قد هان نفس عزيزة وأهل ومال من طريف ومتلد^(١)

(١) سبحانه الله تجدد الناس يحنون إلى هذا البيت وإلى الحج والعمرة، لا يأتون إليه يريدون طمع الدنيا، بل هم ينفقون أموالاً، لا يأتون يريدون رفاهية وراحة ونزهة بل يأتون على تعب ومشقة ويتعرضون للمخاطر والتعب الشديد، لا يأتون بسبب أن أحداً من الخلق يسوقهم من ملك أو جبار أو سلطان، وإنما هم من أنفسهم تسوقهم قلوبهم ورغباتهم، هذا من آيات الله سبحانه وتعالى، ولو قيل للناس: لا بد كل سنة أنكم تسافرون إلى بلد بعيد ماذا يكون من الناس من التعب والتلكؤ والأعذار والتأخر، أما السفر إلى مكة فما أحد يخاف منه أو يتثاقل عنه، بل تجده يرغب فيه دائماً وأبداً.

وقوله: «على كلهم قد هان نفس عزيزة * وأهل ومال من طريف ومتلد» يخرج من بيته وأولاده وبلده ويذهب إلى هذا البيت تهون عليه هذه الأمور وهي أغلى شيء عنده، تهون عليه وينساها، وذلك رغبة منه؛ لأن قلبه يحدوه ويسوقه إلى هذا البيت.

رضوا عن مليد الظل قطع مهامه يظل بها تحريرها ليس يهتدي^(١)
ولذ لهم في جنب ما يتفون سموم بجهلاء المعالم صيخد^(٢)

و«الطريف» هو المال القديم، و«التليد» هو المال الجديد،
يعني يرخص عليهم المال طريفه وتليده، قديمه وجديده يبذلونه في
سبيل الله، وينفقونه في الحج.

(١) رضوا من البقاء في الظل البارد إلى قطع المهامة البعيدة
في البراري التي فيها لفتح السموم وفيها الهجير، وفيها التعب
يخرجون من الظل ويتحملون هذه المشاق، وهي ألد شيء عندهم،
ألد من الظل، هذا السفر بما فيه من المشاق ألد عندهم من الظل
البارد، هذا من عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى.

(٢) ولذ لهم السموم وهو مس الهواء الحار أثناء السفر
يتلذذون بهذا؛ لأنهم يحنون إلى هذا البيت فلا يلتفتون إلى ما
يلفحهم من الهجير والسموم، والمفاوز الخطرة والبراري البعيدة،
كل هذا يهون عليهم.

يهون بها لفح الهجير عليهم كهجر محب يرتجي صدق موعد^(١)
 وكل محب قابل الهجر بالرضا سيجني بما يرضاه من كل مقصد^(٢)
 فكم من رخي العيش حركه الهوى فقام بأعباء الرجا ساغباً صد^(٣)
 فليس بثان عزمه عن طلابه إذا ثوب الداعي به وصل خرد^(٤)

(١) كل ما يلقون من التعب والمشقة فإنهم يتلذذون به لأن الشوق يسوقهم لمكة.

(٢) المحب إذا طمع في لقاء حبيبته فإنه يصبر على المشاق، وأحب شيء إليهم هو رؤية هذا البيت العتيق والطواف حوله، هذا أحب شيء إليهم مهما كلفهم هذا من التعب في الطريق والإنفاق للأموال فإنهم تهون عليهم هذه الأمور في جانب لقاء الحبيب.

(٣) كم من مترف منعم في القصور والملذات يخرج منها ويسافر إلى مكة ويصبر على ما يناله من التعب، ما الذي ساقه إلا الشوق إلى هذا البيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً.

(٤) لا يشنيه شيء عن مطلبه وهو الحج أو العمرة، لا يشينه

أطار الكرى عنهم رجاء وصافهم وشوقاً إلى قبر النبي محمد^(١)

شيء من المشاق أبداً، ولا توهن عزمه.

(١) «الكرى» هو النوم، يطير عنهم في أسفارهم، رجاء الوصول إلى مكة، والناظم يقول: «إلى قبر النبي محمد» وهذا غلط؛ لأن القبر لا يُسافر إليه، قال ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(١) فالسفر ليس إلى القبر وإنما السفر إلى زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه، وزيارة قبر الرسول ﷺ تدخل تبعاً لا قصداً، ما جاء حديث واحد يحث على زيارة قبر الرسول خاصة، بل الرسول ﷺ حث على زيارة القبور وقال: «زوروها فإنها تذكر بالآخرة»^(٢) بينما لم يأت حديث واحد صحيح يحث على زيارة

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم (١١٨٩).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة في الرخصة في زيارة القبور، حديث رقم (١٠٥٤)، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، حديث رقم (١٥٧١).

عفا الله عني كم أودع سائراً إليه وذنبني حابسي ومقيدي
تحمّلت أوزاراً تثقل منهضي ولكنني أرجو تجاوز سيدي
وظني جميل بالكريم وعدتي شفيع الوري في موقف الحشري غد^(١)

قبر الرسول ﷺ، وذلك سداً لذريعة الشرك، لئلا يُغلى في قبره
ﷺ، وقد دعا الله وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»^(١) وقال:
«لا تجعلوا قبري عيداً»^(٢) يعني تجتمعون حوله وتترددون عليه،
لأن العيد يكون زمانياً ويكون مكانياً، فهذه الدعوات صان الله
قبره ﷺ عن الغلو وعما يحدث عند القبور الأخرى، صانه الله عز
وجل، قال ابن القيم رحمه الله:

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة ومناعة وصيان

(١) كل هذا غلو في حق الرسول ﷺ، فالرسول لا يسافر
إلى قبره والمغفرة والشفاعة تُطلب من الله جل وعلا، الشفاعة ثابتة،

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب النداء للصلاة، باب جامع الصلاة، حديث رقم
(٤١٦).

(٢) رواه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، حديث رقم (٢٠٤٢).

لئن ثنت الأقدار عزمي عن السرى فشوقي إليه دائم وتلددي^(١)

فالرسول يشفع لأهل الإيمان من أمته، ولا يشفع لأهل الشرك وإنما يشفع لأهل الإيمان، فالشفاعة صحيحة وحق، وتُطلب من الله ولا تُطلب من الرسول ﷺ في حال موته، وإنما تُطلب من الله، حتى الرسول إذا أراد أن يشفع يوم القيامة يستأذن من ربه ويخِر ساجداً بين يديه ولا يشفع حتى يُقال له: سل تعط، وأشفع تشفع؛ لأن الشفاعة ملك لله جل وعلا، فلا تُطلب من الرسول ﷺ بل تُطلب من الله، تقول: اللهم شفّع فيّ نبيك.

(١) الذي يحب الرسول ﷺ ليس بلازم أن يذهب إلى القبر، بل الذي يحبه يسلم عليه، في أي مكان، ويتبعه ويطيعه في أي مكان، الرسول ما شرع لنا أننا نساغر إلى القبر من أجل أن نصلي ونسلم عليه، بل قال: «صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»^(١) في أي مكان، ولكن من وصل إلى المدينة وصلى في المسجد

(١) رواه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، حديث رقم (٢٠٤٢).

النبي الشريف فالصلاة فيه عن ألف صلاة فيما سواه فإنه يسلم على النبي ﷺ مرة واحدة أول ما يقدم ولا يكرر السلام ويتردد على القبر، بل يُسلم عليه أول ما يقدم فبعد ما يدخل المسجد النبوي، ويُصلي ركعتين تحية المسجد، ثم يذهب ويسلم على النبي عليه الصلاة والسلام هذا هو المشروع، وهذا هو عمل الصحابة رضي الله عنهم، وهم أعلم الأمة بسنته ﷺ، ما كانوا يترددون على قبره للسلام عليه، بل إذا أردت السلام عليه في أي مكان فسلم عليه في مكانك ويصله سلامك وصلاتك كما قال ﷺ: «صلوا عليَّ فإن صلواتكم تبلغني حيث كنتم»^(١)، وقال علي بن الحسين لرجل رآه عند القبر يصلي على النبي ﷺ، قال له: «ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء»^(٢) يعني لا تظن أنه لا يُصلى ولا يُسلم عليه إلا عند قبره، بل صل وسلم عليه في أي مكان، فالحقيقة أنه يجب على المسلم أن يعرف أنواع الغلو ويتبع عنها، ويتبع السنة في هذا.

(١) سبق تحريجه في الصفحة السابقة.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/٥١٦).

وإن رجائي أن يـمن بـزورة فأبلغ من تلك المشاعر مقصدي
والشم آثار النبيـن ضارعاً وأبسط كفي للدعاء وأجهد^(١)
ومن حج بالمال الحرام يعيدها كذلك مرتد أناب بأوكـد^(٢)

والناظم رحمه الله مشى على ما يمشی عليه بعض الفقهاء
المتأخرين، من هذه الأمور عفا الله عنهم.

(١) كل هذا من الغلو، وآثار النبيـن ما تلثم ولا يُتبرك
بالحجرة أو يُتبرك بما يُنسب إلى الأنبياء من الآثار، هذا من وسائل
الشرك، ولا دليل عليه، وهذا من المبالغة.

(٢) ذكر في هذا البيت مبطلات الحج، وهما مبطلان:

الأول: من حج بنفقة حرام؛ فإن حجه غير صحيح، وعليه
أن يعيده إذا كان حجة الإسلام، لما جاء في الحديث أن الحاج إذا
حج بمال حلال ووضع رجله في الغرز، ونادى: لبيك اللهم
لبيك، نادى مناد من السماء: لبيك وسعديك وحجك مبرور
وزادك حلال. وإن حج بمال حرام فإنه إذا وضع رجله في الغرز
ونادى: لبيك اللهم لبيك، نادى مناد: لا لبيك ولا سعديك،

مالك حرام ورحالتك حرام وحجك مأزور وغير مبرور،^(١) فدل
هذا على بطلان حج الإنسان بمال محرم، يقول الشاعر:

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجبت العير
ما يقبل الله إلا كل صالحة ما كل من حج بيت الله مبرور

فهذا على ظاهره أنه يبطل حجه، ومن العلماء من يقول: لا
يبطل حجه وعليه التوبة إلى الله من المال الحرام وحجه صحيح، لأنه
أدى المناسك فيأثم على الحرام وتمحوه التوبة، والأحاديث ليس
معناها بطلان حجه وإنما معناها إثمه، فإذا تاب إلى الله تاب الله عليه.

النوع الثاني من مبطلات الحج: الردة، إذا حج حجة
الإسلام ثم ارتد عن دين الإسلام بأن ارتكب ناقضاً من نواقض
الإسلام بطل حجه وبطلت جميع أعماله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، قَسَمْتُ لَكَ أَنَّهُ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، فعلى
المذهب لو تاب من الردة يعيد الحج؛ لأن حجته التي قبل الردة
بطلت بالردة، فيعيد حجة الإسلام هذا هو المذهب.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٥١/٥) حديث رقم (٥٢٢٨).

وللرفث اهجر والفسوق وهكذا الجدال وأقلل من كلامك محمد^(١)

القول الثاني: إنه إذا تاب تاب الله عليه ورجعت إليه أعماله الصالحة التي بطلت بالردة لأن النبي ﷺ يقول: «أسلمت على ما أسلفت عليه من خير»^(١) وفي الآية ما يدل على هذا؛ لأن الله قال: ﴿فَبِمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، فرتب بطلان الأعمال على شيئين: الشيء الأول: الردة، والشيء الثاني: الموت عليها من غير توبة، أما إذا تاب من قبل أن يموت فإنها لا تحبط أعماله، هذا ما تدل عليه الآية^(٢).

وهذا القول الأخير هو الصحيح أنه إذا تاب تاب الله عليه، ولا يلزمه إعادة الحج، لأن حجه صحيح، لأن توبته صححت عمله وأرجعت إليه ثوابه، هذا هو الراجح إن شاء الله.

(١) هذا مأخوذ من الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، حديث رقم (١٤٣٦).

(٢) أضواء البيان ٣/ ٤٦٢، تفسير القرطبي ٣/ ٤٨، المغني ١/ ٢٣٩، شرح العملة ٤/ ٣٧، الأم للشافعي ١/ ٧١، المجموع ٢/ ٧٧، بدائع الصنائع ١/ ٩٥.

أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِكَ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
 فِي الْحَجِّ ﴿ [البقرة: ١٩٧]، «فمن فرض» يعني أحرم، سُمي الإحرام
 فرضاً لأن من أحرم بالنسك وجب عليه أن يتمه فرضاً كان أو
 نفلاً، لقوله تعالى: ﴿ وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿ فَمَنْ قَرَضَ
 فِيهِكَ الْحَجَّ ﴾ يعني المحرم يحرم عليه الرفث، والرفث: هو الجماع
 ودواعيه من كلام أو نظر أو لمس أو غير ذلك من كل ما يدعو إلى
 الجماع، فيتجنب الأقوال والأفعال والنظر الذي يرغبه أو يدعو
 إلى الجماع حتى مع زوجته التي أحلها الله له، إذا أحرم فإنه
 يتجنبها، ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾، الفسوق: هو المعاصي سميت فسوقاً؛
 لأن الفسوق معناه الخروج، فالمعاصي لما خرج عن طاعة الله سُمي
 فاسقاً، فالمحرم يتجنب المعاصي، وإن كان واجباً عليه أن يتجنبها
 دائماً، ولكن المحرم لأنه في عبادة فلا يدخل المعاصي على العبادة
 لئلا تؤثر على عبادته فتكون المعصية من المحرم أشد، فيتجنب
 المعاصي ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ الجدال: هو المخاصمة بالكلام
 والمماراة، فالمحرم يتجنب هذا؛ لأن الجدال يورث البغضاء ويشغل

ومكة بالتفضيل أولى وعنه بل مدينة خير الخلق مثوى محمد^(١)

عن ذكر الله، وقد قالوا: إن الجدل على قسمين:

جدال واجب؛ وهو ما كان لبيان حق، أو دفع باطل، هذا واجب لقوله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالجدال الذي يُقصد به بيان الحق ورد الباطل هذا واجب لمن يستطيعه ويقدر عليه في الإحرام وفي غيره.

النوع الثاني: الجدل الذي لا فائدة فيه من جهة الدين وإنما هو جدال في أمور الدنيا فهذا يتجنبه المحرم.

ثم لما نهى عن هذه الأمور الثلاثة وجه إلى الخير قال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فبدل أن يشتغل بالرفث والفسوق والجدال يشتغل بالطاعات، وما فعل من خير فإن الله يعلمه ويشبه عليه.

(١) هذا إشارة إلى الخلاف في مكة والمدينة أيهما أفضل، المعروف أن مكة أفضل؛ لأنها خير البقاع وفيها البيت العتيق،

وكلتا يديك ارفع لرؤية كعبة معظمة عليا وكبر ومجد^(١)

وفيها مقام إبراهيم وأمر الله باستقبال الكعبة والحج على المسلمين فهي أفضل من المدينة، وقيل المدينة أفضل؛ لأنها مهاجر النبي ﷺ، وفيها قبره عليه الصلاة والسلام، والنبي ﷺ دعا لها ولأهلها فهي أفضل من مكة، والقول الأول هو الراجح؛ لأن النبي ﷺ لما خرج للهجرة وقف عليه الصلاة والسلام وقال: «إنك لأحب البقاع إليّ، ولولا أن قومك أخرجونني ما خرجت»^(١) دل على أنها أفضل من المدينة، ولكل من البلدين فضائل، هذه دار الهجرة، وهذه دار الكعبة ومبعث النبي ﷺ.

(١) هذا بيان ما يُشرع عند معاينة الكعبة للقادم إذا دخل المسجد الحرام ورأى الكعبة المشرفة يرفع يديه ويكبر، هكذا في كتب المناسك، ولكن هذا لا دليل عليه، وإنما يرفع يده مكبراً عند بداية الطواف كما يأتي.

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب فضل مكة، حديث رقم (٣٩٢٥)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فضل مكة، حديث رقم (٣١٠٨).

وناد بقلب خاشع متضرعاً بما شئت من كل الدعا غير معتد^(١)
وسله قبول الحج والعفو وادعه وكبر وهلل في محاذاة أسود^(٢)
ونذب له أن يدخل البيت حافياً ويكثر من نقل به وتعبد^(٣)

(١) إذا دخلت المسجد الحرام تقدم رجلك اليمنى وتقول:
بسم الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من
الشیطان الرجیم، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك،
وتدعو بما تيسر.

(٢) إذا حاذيت الحجر الأسود في الطواف فإنك تستقبله ثم
ترفع يدك مكبراً وتبدأ الطواف، هذا ثبت في الصحيح، بل إن
تمكنك من استلامه وتقبيله فهو أفضل، وإن لم تتمكن من تقبيله
فإنك تستلمه بيدك وتقبل يدك فإن لم تتمكن من استلامه بيدك
فإنك تستلمه بعصا ولا تقبل العصا، فإن لم تتمكن من استلامه
فإنك تشير إليه وتكبر.

(٣) دخول الكعبة لمن تيسر له مستحب، ويصلي فيها نافلة
كما فعل النبي ﷺ عام الفتح، فإنه دخل الكعبة المشرفة وأزال

ويرمقه ما استطاع ثم بطرفه ويكثر فعل الاعتمار ويجهد^(١)

ما فيها من الصور وغسلها، ثم إنه ﷺ صلى ركعتين، فيسن لمن تمكن من دخول الكعبة أن يصلي فيها ركعتين نافلة، أما الفريضة فلا تصلى داخل الكعبة؛ لأن الله أمر باستقبالها، فلا تصلى الفريضة بداخلها.

(١) يقولون: إن النظر إلى الكعبة عبادة، وهذا لا دليل عليه، وهو ما أشار إليه هنا بأن يرمقها وينظر إليها، فلا شك أن لها فضلاً عظيماً ولكن نحن نعمل ما أمرنا به وشرع لنا، ولم يأت أن النظر إليها عبادة، وتكرار العمرة فيه فضل كما قال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١) فتكرار العمرة مستحب في سائر السنة، ولكن لا يُكرر في وقت متقارب، بل يكرر بعد كل فترة، إذا تكوّن له شعر في رأسه يحلقه أو يقصره في النسك، أما إنه يُكرر العمرة في يوم

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، وجوب العمرة وفضلها، حديث رقم (١٧٧٣).